

أمثال القرآن

[68] جاء في بعض كتب التاريخ أنّ أبا طالب (رضي الله عنه) مرض يوماً وكان محمد ابن أخيه منشغلاً بالتبليغ خارج البيت فأتى إشراف قريش أبا طالب بحجة العيادة له وقالوا: أنت شيخنا وكبيرنا وقد أتيناك لتقضي بيننا وبين ابن أخيك فإنه سفّه احلامنا وشتّم الهتنا. فدعا أبو طالب رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقال: يا بن أخي! هؤلاء قومك يسألونك فقال: "ماذا يسألونني؟" قالوا: دعنا وآلهتنا ندعك وإلهك. فقال (صلى الله عليه وآله): "اتعطوني كلمة واحدة تملكون بها العرب والعجم؟" فقال أبو جهل: أبوك نعطيك ذلك عشر أمثالها. فقال: "قولوا لا إله إلا الله". فقاموا وقالوا: أجعل الإلهة الهاً واحداً. (1) وهو يدعوهم للتوحيد في عبارته الأخيرة. الشرح والتفسير شُبِّهَ الكفار في هذا المثل القرآني بالحيوانات؛ ولجل تبرير هذا التمثيل أكد على تقليدهم التام والأعمى لأسلافهم. يقول الله في الآية 170 من سورة البقرة: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءُنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ). وكأنّه يقول: يا جهّال! هل أنّ اتّباعكم للأسلاف الذين لا يعقلون شيئاً اتّباع عن بصيرة؟! ثم يمثل الرسول (عندما يقرأ الآيات على هذا القوم المشرك) بالراعي الذي ينادي رعيته بالأصوات لتوجيه حركتها، إلا أنّ هذه البهائم لا تعقل من كلامه شيئاً إلاّ الأصوات التي تتأثر بها، فإذا كانت أصوات الراعي شديدة وذات إيقاع قوي أثرت في البهائم وإلاّ فلا. إنّ مثل المشركين كمثّل هذه البهائم لا تفهم ما تقرأه عليهم من المعاني والمفاهيم الرفيعة لكنهم يفهمون الأصوات وموسيقى كلامك فحسب لذا يستمرون في تقليدهم الأعمى للأسلاف. 1. مجمع البيان 8: 343 طبع مؤسسة الاعلمي بيروت.